مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

فصلٌ
في المعلم

ان القدماء والمحدثين من اهل البلاد التي توفر حظها من المدنية كانوا ولا يزالون يقدرون المعلم اي المربي أو المؤدّب حقّ قدرهِ ويبجّلونهُ وينزلونهُ فوق منزلة الطبيب بل فوق منزلة الحاكم لأنّ الطبيب ان داوى اسقام البدن وشفاها وهيهات فلا يقدر ان يداوي اسقام النفس ويشفيها بل هذا من ولاية المعلم . ولأنّ الحاكم انما يعاقب الجاني اذا جنى ولكن ليس من ولايتهِ ان يجعلهُ خيّرًا عزوفًا عن اقتراف الجرائم بل هذا منوطٌ بالمعلم . والحاكم يقيم الحدّ على الشرّير اذا اذنب وقد يُقصيهِ او يعتقلهُ ليؤدّبهُ ويريح الناس من شرّهِ حينًا ما فمثَلهُ في ذلك مثل الجرّاح الذي يقطع من اعضاء الجسم ما كان مؤوفًا ليسلم سائرها الاّ أنّ المعلم يحاول استئصال الشرّ من جرثومتهِ وكثيرًا ما ينجح في ما يحاولهُ . لا جَرَمَ ان من كان من ولايتهِ ان يتعهد نفس الولد فضلاً عن جسمهِ ويهتم بلعبهِ ودرسهِ بل فرحهِ وترحهِ لجديرٌ بان يكون عالي المنزلة ولذا كان اليونان يدعون سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من الفلاسفة معلّمين وآباء ولا بدع لان المعلم في الحقيقة ابٌ ثانٍ للولد وان شئت دعوتَهُ اباهُ الروحاني كما ان الوالد ابوهُ الجسماني . ولما لم يكن احدٌ في الدنيا أولى من الأبوين بأن يبجّلهما الولد ويحترمهما وكان المعلم نائبًا عنهما في تربيتهِ اذا غابا وشريكاً لهما فيها اذا حضرا كان بحكم الضرورة مستحقًّا لشيء من ذلك التبجيل

عينه . وانما استنابهُ الأبوان عنهما في تربية ولدهما لانهُ قد يتفق ان لا يكون لهما قِبَلٌ بها او كفآءةٌ لها اذا حان دورها الثاني او لا يستطيعانها وحدهما لان اهتمامهما بامر المعاش وتدبير المنزل او غير ذلك من الشؤون يصدّهما عن التفرّغ لها . وانتَ قد عرفتَ انها اهمُّ واكثر تنوّعاً من ان تكفيها ساعةٌ او ساعتان من النهار بل تقتضي ممن يتولاّها ان يوفر اوقاتهُ كلَّها عليها وان لا يكون لهُ شغلٌ غيرها وهذا لا يستطيعهُ الابوان دائماً لما تقدّم من شواغلهما وهب انهما يستطيعانهِ فقد يتفق ان يكونا قليلي الخبرة بتأديب الاولاد في هذا الدور وان كانا هما من احسن الناس تأدُّباً لان فنّ التربية ولا سيما التربية الذهنية في هذا الدور اوسع من ان يحيط بجميع تفاصيلهِ سائر الناس ولذا مسَّت الحاجة الى مربٍّ ذي كفآءةٍ وخبرةٍ يتفرّغ لهُ ودعت الضرورة ايضاً ان يستنيبهُ الابوان عن انفسهما في ذلك ليُعينهما ويعين الطبيعة نفسها عليهِ . وهذا سبب قولنا في الفصل المتقدّم انهُ يحسن ان يكون للابوين اطلاعٌ على تربية ولدهما وهو في الكتّاب اي اذا حان دورها الثاني وذلك لانها لا تكون في هذا الدور كاملةً متقنةً بقدر الاستطاعة الّا اذا عاوَن الابوان المعلّمَ عليها لانهما اعلم الناس بما يلائم ولدهما واكثرهم معرفةً بسجاياهُ واخلاقهِ وشوائبهِ ومعايبهِ واولاهم باطلاع المعلم عليها تسهيلاً لما يتجشمهُ من تهذيبها وتثقيف منآدِها بالتربية

فصحّ اذاً ان المعلم ابٌ ثانٍ للولد ولذا قال الاسكندر يوماً انهُ وان كان ابن فيلبس المكدوني جسماً فهو ابن ارسطوطاليس نفساً لانهُ ان كان فيلبس سبباً لحياتهِ فارسطوطاليس هو الذي علمهُ كيف يعيش مكرَّماً وما احسن ما قال الشاعر

اقدّم أُستاذي على فضل والدي ... وان كان لي من والدي الفخر والشَرَف
فذاك مربّي الروح والروح جوهرٌ ... وذاك مربّي الجسم والجسم من صَدَف

ولا يكفي ان يكون المعلم ذا كفاءة للتربية وخبرة بها بل ينبغي ايضاً ان يكون ذا محبة للولد تدفعهُ الى ان يعنى بهِ عناية الوالد بابنهِ لانهُ ان لم يكن كذلك لم يستحقَّ ان يُدعى ابًا ثانيًا لهُ . وانما يستحقُّ هذا اللقب من المعلمين من يبذل وسعهُ في اقتفاء آثار اولئك الافاضل الذين سبقت اليهم الاشارة وينسج على منوالهم ما استطاع . نعم ان ادراك شأوهم امرٌ عسيرٌ لا يستطيعهُ كل احدٍ بل لا يكاد يُرام ولكن لا يكلف الله نفساً الاّ وسعها . فعلى الانسان الذي ينصب نفسهُ للتعليم ان يسعى في ان يحذو حذوهم على قدر طاقتهِ لان من يفعل كل ما يقدر عليهِ فقد فعل كل ما يجب عليهِ والاّ فليدع امر التعليم والتربية لغيرهِ لانهُ ان تصدّى لما لا قِبَل لهُ بهِ ولما ليس من اهلهِ كان هو والذين ينصب نفسهُ لتعليمهم كقائدٍ ذي عمىً يقتاد عميانا

المطلب الثالث

في تربية البدن

قال احد المتأخرين لو عُني بعض الوالدين بتربية اولادهم عنايتهم بتربية أنعامهم لم تجد في الناس من القصيين والمترهّلين واصحاب العاهات الاّ عددًا قليلاً بالنسبة الى ما تراهُ فيهم وانما كثر فيهم مشوّهو الخلق لقلّة التفات الوالدين الى الاعتناء بتربية ابدان الاولاد كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي . ومما هو جديرٌ بالتأمّل فيهِ أنك ترى فيهم من يخوض بلا مبالاةٍ في حديث تربية المواشي او تضمير خيل السباق او تضرية كلاب الصيد حتى لتخالهُ من فصاحتهِ وانطلاق لسانهِ قسّ بن ساعدة فاذا جرى الحديث في امر تربية الاولاد خلتهُ من فهاهتهِ وعيّهِ باقلاً . وترى غيرهُ وقد أُنعم عليهِ بثروةٍ وافرةٍ من صامتٍ وناطقٍ ومنقلٍ وعقار فصار من أحرص الناس على تعهّد اسطبلهِ وعلف خيلهِ واستغلال ضيعتهِ

لكنهُ بقي من اغفلهم عن تعهّد حجرة اولادهِ وعن تفقد غذآئهم وانتظام اوقاتهِ. وترى الآخر وقد احترف الزراعة او تربية السائمة فصار من ادرى الناس بالسماد الاصلح لانماء الزرع واعلمهم بوجوب اعفاء ثورهِ من الحرث وكرب الارض على اثر تناولهِ العلف واعرفهم بتسمين العجول والحملان لكنهُ بقي من اجهلهم بوجوب اعفاء ولدهِ من الدرس وسائر الاعمال العقلية على اثر تناولهِ الطعام واقلهم معرفةً بالغذآء الاصلح لهُ

فان لمت احد هؤلآء الرجال على اهمالهِ من امر اولادهِ ما لا يهملهُ من امر أنعامهِ لم يعجز ان يقول لك ان تعهّد اسطبل الخيل ومذود البقر وحظيرة الغنم يعنيهِ لانهُ ان احسن القيام على الفرس احرز بهِ قصبات السبق في الميدان وان سمن العجول والحملان باعها باغلى الاثمان اما تربية ولدهِ فلا تعنيه بل هي من ولاية الأمّ او الخادمة. ولعلّ هذهِ الامّ لا تدري من امور الدنيا سوى التطريز او العزف على البيانو او التكلم بالافرنجية ولعلّ هذهِ الخادمة لا تعرف من امر تربية الاولاد سوى مزاعم واوهام تلقنتها من اهل طبقتها او من جارةٍ جاهلةٍ مثلها او اجهل منها الاّ ان هاتين المرأتين هما في نظر الاب اكثر كفآءةً منهُ واصلح لتربية ولدهِ

ستأتي البقية

البربر

اذا كان كلُّ علم انما يشرُف بشرف موضوعهِ فالعلم الذي يُبحَث فيهِ عن طبيعة الانسان من حيث هو مفردٌ في حالتيهِ الطبيعية والادبية او مجتمعٌ تألف من افرادهِ الشعوب في حالتي الهمجية والمدنية لا شك في انهُ اشرف العلوم. ولما كان هذا العلم كثير الثنايا والشعاب متوعر المسالك على الطلاب